الفصل الحادى عشر

اهتمام الرسول بتعليم الصغار

ان الدين الاسلامى دين علم ونور لا دين جهل وضلالة فالعلم مقدس فى نظر الاسلام وللعلماء العاملين منزلة فى الاسلام تلى منزلة الانبياء وقد قيل أن العلماء يشفعون للناس يوم القيامة بعد الانبياء وقال صلى الله عليه وسلم:

« أن مداد العلماء لخير من دماء الشهدا » ٠

وقددعا الرسول صلى الله عليه وسلم الى التعليم وأوجبه فقال :

« علموا أولادكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم » ٠

لم يقف الاسلام عند الدعوة الى نشر العلم والتعليم فحسب بل دعا الى الاستمرار فى طلب العلم والتعلم والبحث والاطلاع والتفقه فى الدين فقال الرسول :

« لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم ، فان ظن أنه قد علم فقد جهل » ٠

ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هناك مراحل معينة لنمو الفرد يتحتم معها تنوع التعليم والتأديب وفقا لدرجة نضج الفرد فى كل مرحلة ٠ فيقول صلى الله عليه وسلم :

« الغلام يعق (١) عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى ، فاذا بلغ ست سنين أدب فاذا بلغ سبع سنين عزل فراشه ، فاذا بلغ عشر سنين ضرب على الصلاة والصوم فاذا بلغ ستة عشر سنة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال : قد ادبتك وعلمتك وانكحتك ، اعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة٠

ومن الأحاديث النبوية التى تحث المسلمين على تعليم ابناءهم ٠

روى ابن ماجة عن ابن عباس رضى الله عنهما ، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » ٠

وروى الترمذى عن عمرو بن شعيب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع » ٠

---

(١) يعق : تذبح له شاه فى اليوم السابع من ولادته وتسمى الشاه عقيقة ٠

وقال الله سبحانه وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » (١)٠

فهذه الآية تدعو الاباء الى تعليم الابناء والاهل طاعة الله واتقاء المعاصى وامتثال الاوامر واجتناب النواهى فذلك وقاية لهم جميعا من النار ٠

وقد امر الله الاباء ان يعلموا أبناءهم الذين لم يبلغوا الحـــلم أى سن المراهقة والذين بلغوه أن يستأذنوا فى الدخول عليهم ثلاث مرات فى اليوم هى أوقات الراحة وتغيير الثياب حفاظا على عوراتهم ٠

قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلوات الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولاعليهم جناح بعدهن٠٠ واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم٠٠»(٢)

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام :

« التعليم فى الصغر كالنقش فى الحجر والتعليم فى الكبر ككتـاب على المـاء » ٠

شروط التعـــليم :

لم يكن للتعليم فى عهد الرسول شروطا للقبول فى المدرسة المحمدية سوى الايمان بوحدانية الله والاسلام للدين الحنيف والشهادة بأن محمد رسول الله فلم يكن هناك شروطا للسن ٠ كان التلاميذ صحابة الرسول من الصغار الناشئة والشباب والشيوخ يتحلقون فى حلقة المسجد بالمدينة لتعلم أحكـام الدين وفرائضه وقراءة القرآن وتفسير ما شكل منه عليهم والتفقه فى الدين٠

ولقد ثبت فى علم الاجتماع وعلم النفس حديثا صحة راى الرسول وهو أن الصغار والشـباب هم أكثر تقبلا للعـلم والتعليم من الشيوخ فالناشئة والشباب هم انصار كل جديد وأنه يسهل عليهم تقبل التغير فى ظل الظروف الاجتماعية المتغيرة وقبول الدعوة الجديدة دون ان ينفروا منها أباؤهم ونوو السن فيهم ولقد سبق القرآن منذ أربعة عشر قرنا العلم الحديث الى تقرير هذا الأمر ٠ فجاء **فى قوله تعالى :**

---

(١) سورة التحريم آية ٦ ٠
(٢) سورة النور آية ٥٨ ـ ٥٩ ٠

فماء امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون ٠٠ » (١) فقد التف حول الرسول أيضا أولئك الذرية الناشئة والشباب من قريش وأهل الحجاز واحجم عنه الشيوخ ٠

وقد عرف النبى صلى الله عليه وسلم فضل الشباب على الاسلام حيث وقف بجانبه شباب قريش واستهانوا بما كانوا يلاقونه من عذاب قومهم فى ايمانهم به وكان لهم مواقف رائعة فى الجهاد فى اعلاء كلمة الاسلام من جهاد بالراى الذى يعلو امره على الشجاعة ، ومن جهاد بالسيف ضربوا فيه أروع الامثلة فى البطولة ، ومن جهاد بالمال آثروا به دينهم على أنفسهم واهليهم الى ان امره الله بالهجرة الى المدينة فصار له منهم وممن انضم اليهم من اهل مكة والمدينة تلاميذ من الطلائع الذين حملوا لواء العلم وبذروا البذور الاولى للحضارة الاسلامية واصبح له جيش من المتعلمين لا يدانيه جيش على وجه الأرض ٠ وكان من تقديره صلى الله عليه وسلم للشباب فى كل جيل ان اهتم بتربيتهم وتعليمهم منذ الصغر وأوصى بالصغار والشباب خيرا لأنهم قادة المستقبل فقال : عن أبى سعيد الخدرى قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سيأتيكم غلمان حديثة اسنانهم يتفقهون فى الدين ، فقهوهم ، واحسنوا تعليمهم » ٠

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أوصيكم بالشبان خيرا فهم أرق افئدة ، ان الله بعثنى بشيرا ونذيرا فحالفنى الشبان وخالفنى الشيوخ » ٠

وقال ابن عباس : « ما بعث الله نبيا الا شابا ولا اوتى العلم عالم الا شابا » ٠

قال تعالى :

«انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » ٠

قال تعالى :

« قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ٠

وقال أبو حمزة الخارجى فى خطبته فى مكة حين غلب عليها فى آخر دولة بنى أمية « يا أهل الحجاز تعيروننى بأصحابى ، وتزعمون انهم شباب وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا شبابا » ٠

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« حفظ الغلام ، كالنقش فى الحجر وحفظ الرجل بعد ما كبر ككتاب على الماء » ٠

---

(١) سورة يونس آية ٨٣ ٠

تعليم الصغار والناشئة فى عهد الرسول :

أن التربية فى كل المجتمعات قديما وحديثا هى الوسيلة الناجحة لتشكيل الشخصية القومية للدولة بما يتفق وفلسفة النظام السياسى والاجتماعى السائد فيها ويكون الاطفال الصغار والشباب هم هدف كل تربية ، وكما تمكن الامريكيون فى العصر الحديث من أمركة المهاجرين الأوائل الى الارض الجديدة ونجحوا فى تثبيت قواعد الديمقراطية فى الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق التربية والاعتماد على العلم لأقلمة عقول الشباب والصغار فى الوطن الجديد ، وكما نجح البلاشفة الروس منذ ١٩١٧ فى التغيير الايديولوجى والمادى للشعب السوفيتى من خلال التعليم ونظام التربية • فان الرسول عليه الصلاة والسلام حاكم الدولة الاسلامية فى المدينة وحامل الرسالة السماوية قد تمكن منذ أربعة عشر قرنا من تغيير ايديولوجية المجتمع الجاهلى وقضى على القيم غير المرغوب فيها وغرس فى الشباب قيما خلقية جديدة شكلت المواطن العربى بسمات وصفات شخصية تختلف عما كان عليه قبل الاسلام وذلك عن طريق التربية أيضا •

فقد وضع الرسول **نظاما تربويا** للصغار والكبار على السواء وتلقى التعليم الاسلامى فى عهده الناشئة والشباب وتخرج فى عهده عدد كبير من الصحابة الذين حملوا لواء العلم والايمان فاصبحوا المعلمين الاوائل للمسلمين الذين بذروا البذور الاولى للحضارة الاسلامية فى المجتمع الاسلامى • وهذا القول يتناقض مع ما ذكره الدكتور « عبد الغنى عبود » فى كتابه التربية المعاصرة اذ يقول :

« يستطيع الانسان ان يجزم بأن تعليم الكبار هو هدف الاهداف فى التربية الاسلامية ••• وليس تعليم الصغار » •

وفى موضع آخر من الكتاب يقول :

« وكل هذه المؤسسات العلمية والتعليمية مؤسسات لتعليم الكبار وليس منها بطبيعة الحال مكان المتعلمين الصغار ، لا لصغر حجمهم وسنهم، ولكن لصغر عقولهم بحيث لا تستطيع أن تستوعب ما يقدم منها من معارف ومعلومات » •

« ويذكر الدكتور « عبد الغنى عبود » ان تعليم الصغار لم يبدأ الا فى العصر الاموى عندما بدأت الحاجة ماسة الى تعليمهم ، ويرى ان المسجد كان مكانا لتعليم الكبار فقط فى الاسلام •

وتعترض المؤلفة على هذا القول لان ما تضمنته كتب المؤرخين المسلمين من السيرة النبوية وغيرها تدلنا دلالة قاطعة على اهتمام الرسول بتعليم الصغار واتاحة الفرصة امامهم لمشاركة الكبار فى حلقة التعليم بالمسجد النبوى •

فقد سمح الرسول عليه الصلاة والسلام للصغار بدخول المسجد مع أهليهم لتلقى العلم والتفقه فى الدين ومشاركتهم فى المناقشة فهم اليوم صغار قوم وغدا سيكونون كبار القوم وعن طريقهم ينتقل العلم والدين الى الاجيال القادمة ، كما ان الصغار لما لديهم من قوة الذاكرة وخلو عقولهم من الهموم والمشاغل يكونون أسرع فى حفظ القرآن الكريم بدرجة تفوق قدرة الكبار ، كما وجد الرسول عليه الصلاة والسلام فى أولئك الصحابة الصغار الأمل فى استمرار الدعوة الاسلامية بعد وفاته اذ أنهم لصغر سنهم سيكون بقائهم فى الحياة الدنيا أطول من الكبار والشيوخ الذين بانتهائهم قد تنتهى العقيدة والفكر والعلم والدين ، اما هؤلاء الصغار فهم انصار الدعوة الاسلامية وهم حملة مشاعل العلم والدين للاجيال القادمة ٠

وبذلك يمكن القول أنه فى عهد الرسول كان هناك تعليم للصغار الى جانب الكبار فى مكان تعليمى واحد هو المسجد وفى حلقة دراسية واحدة كما أمر الرسول ، وهؤلاء الصبية الصغار تربوا فى احضان الجيل الأول لفجر الاسلام وشاهدوا مواقفهم الرائعة فى بذل النفس والمال فى الجهاد فى سبيل اعلاء كلمة الاسلام وسيادة مبادئه وحفظ آياته من التحريف والتبديل ٠

وظل الأمر على هذا المنوال يتعلم الصغار والكبار فى مجلس تعليمى واحد حتى وضع الامام « مالك » خادم الرسول تشريعا بتجريم دخول الاطفال المسجد وتخصيص مكان للدراسة خاص بهم ويكون فى الكتاتيب حتى اذا بلغوا الحلم وعرفوا الطهارة يستكملوا دراستهم بالمسجد ، وذلك بعد ان زاد عدد الأطفال الذين يتلقون التعليم بعد وفاة الرسول فكان ذلك فى عصر عمر بن الخطاب ومنذ ذلك الوقت بدأ تقسيم التعليم الاسلامى الى مراحل وتحديد سن التعليم فى كل مرحلة ومنهج الدراسة فى كل منها ٠

بعض الادلة على اتاحة الفرصة امام الصغار فى التعليم فى عهد الرسول :

قال عبد الله بن عبيد الله بن عمير :

« بينما حلقة من قريش جلوس فى هذا المكان من المسجد فى الكعبة ، اذ مر عمرو بن العاص (بعد اسلامه) يطوف ، فلما قضى عمرو طوافه جاء الى الحلقة ثم التفت فراى أولادا صغارا يجلسون بعيدا عن الحلقة فقال لهم :

« مالى أراكم نحيتم هؤلاء الاولاد الصغار عن مجلسكم ؟ لا تفعلوا ٠٠٠ اوسعوا لهم ، واوفوهم وحدثوهم ، وافهموهم الحديث ، فانهم اليوم صغار قوم ويوشكون ان يكونوا كبار قوم ٠٠٠ وانا كنا صغار قوم واصبحنا اليوم كبار قوم » ٠

ومما يدل أيضا على أنه كان هناك جيل من الصبية الصـــغار الذين تعلموا فى عهد الرسول اما على يديه واما على ايدى صحابته ٠٠ ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد اتخذ قرارا بالايقبل فى الجهاد فى سبيل الله بالغزو من لم يبلغ عمره أربعة عشر عاما أو خمسة عشر عاما (على الخلاف فى تقدير سن البلوغ فى الاسلام) ٠

وهذا يؤكد أنه كان هناك صبية يتعلمون وكان بعضهم يعرض نفســه ليشارك الرسول فى غزواته وممن كان يتعلم فى عهد الرسول وهو دون سن الرابعة عشر وقد عرضوا على الرسول ان يشاركوه فى غزوة بدر ورفض قبولهم لصغر سنهم هم :

أسامه بن زيد بن حارثة ـ رافع بن خديج ـ البراء بن عازب ـ اسيد ابن ظهير ـ زيد بن أرقم ـ زيد بن ثابت ـ عمير بن ابى وقاص ـ عبد الله ابن عمر بن الخطاب ـ أســـامه بن أوس ـ عبد الله بن عمرو بن العاص ـ أبو سعيد الخدرى ـ سعد بن خثيمة ـ سمره بن جندب ـ زيد بن حارثة الانصـــارى ٠

هذا غير عمرو بن سلمه وابراهيم الزهرى وعلى بن أبى طالب ، وانس بن مالك ، وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وغيرهم كثيرون٠

وكان الرسول يجيز كل متعلم ويجعل لكل منهم درجة بعد تقييمهم ، كما كان يعطى للاستعدادات والقدرات والمواهب أهمية خاصة ويقرب منــه المتفوقين وذوى المواهب ٠

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :

« جلست مع عصابة من المهاجرين نستمع الى كتاب الله اذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وسطنا ٠٠٠ ثم أشــار بيده فاستدارت الحلقة وبرزت وجوههم له ، فمن كان أكثرهم علما وأسرعهم فهما فانه يقربه ويدنيه ويجعله مما يليه » ٠

ومما يدل على اهتمام الرسول اهتماما خاصا بذوى المواهب والقدرات أنه عندما رفض الرسول عليه الصلاة والسلام ان يشارك « رافع بن خديج فى الجهاد فى غزوة بدر لصغر سنه ثم قيل للرسول أنه يجيد فن الرمى ،فقبله وأجازه ، ولما اجازه ذهب « سمره بن جندب » الى زوج أمه وقال له : اجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن خديج وردنى (أى منعنى) وأنا اصرعه (أى اننى اتفوق عليه فى الرمى وانتصر عليه فى المنازلة فأصرعه) فأعلم بذلك الرسول ، فاحضرهما واجرى لهما اختبارا عمليا وطلب منهما أن يتصارعان فصرع سمره بن جندب زميله رافع خديج فاجازه الرسول أيضا ٠

ولم يكن رسول الله صلوات الله عليه يفرق بين الصغير والكبير فى مجلس التعليم فقد يكون الطفل الصغير أو الشاب اليافع أكثر علما وموهبة وقدرة فى قراءة القرآن من الشيخ الكبير ، وكان الرسول يختار عماله وامراء جيشه وأصحاب الوظائف العليا فى الدولة من بين أكثر الشباب علما بكتاب الله واقراهم القرآن الكريم وأكثرهم تفقها فى الدين حتى ولو كان صغيرا فى السن فقد كان « عمرو بن سلمة » يؤم قومه فى الصلاة على عهد رسول الله وهو ابن سبع سنين لانه كان اقرأ القوم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أن الأحق بالامامة هو الأقرأ بكتاب الله تعالى ، فاذا استووا فالاعلم بسنة رسول الله وما يتعلق بالامور الفقهية .. » .

بعض الصغار من الصحابة الذين تعلموا على يد الرسول :

١ ـ على بن أبى طالب :

هو ابن عم الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، أسلم على بن أبىطالب، وهو ابن ثمان سنين وكان النبى صلوات الله عليه قد أخذه من أبيه ليربيه فى بيته لانه كان كثير الابناء وكانت قريش قد نزلت بها ضائقة فضمه الرسول اليه تخفيفا عن عمه كما ضم العباس بن عبد المطلب اخاه جعفرا اليه اذ كان العباس هو أيسر أخوته حالا ومالا .

وكان سبب اسلام على رضى الله عنه أنه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم بعد اسلام زوجه خديجة بيوم واحد فوجدهما يصليان فقال للنبى يامحمد ، ماهذا ؟ قال له : هذا دين الله الذى بعث به رسله فادعوك الى الله وأن تكفر باللات والعزى فقال على : هذا أمر لم اسمع به قبل اليوم ، فلست بقاض أمرا حتى أحدث ابا طالب فخشى النبى صلى الله عليه وسلم أن يؤثر أبوه فيه ، وكره ان يظهر أمره فى ذلك الوقت فقال لعلى : ان لم تسلم فاكتم ، فكتم على رضى الله عنه ما رأى عن أبيه . ولكنه بات يفكر فى هذا الدين الجديد عليه فلما طلع الصباح بادر الى النبى عليه الصلاة والسلام وأعلن اسلامه وحاز بهذا شرف السبق الى الاسلام بعد خديجة زوجة الرسول ، وقيل ان أبا بكر ، كان أسبق منه اسلاما .

وقد بلغ على رضى الله عنه من العلم على يد الرسول مبلغا لا يدانيه فيه أحد ولا سيما علم القضاء ، فقد عمل على بن أبى طالب بالقضاء وهو ابن ستة عشر عاما حين بعثه الرسول من قبله قاضيا على اليمن ، وكان كذلك أقدر الشباب على الخطابة وقد جمعت خطبه فى كتاب نهج البلاغة وهى تدل على ما وصل اليه من علم غزير وحكمة عالية ، وبلاغة رائعة وهو فى سن صغيرة .

ولم يقتصر أمر على بن أبى طالب فى علوم الدين بل تجاوزها الى علوم العربية فوضع أساسها ومهد طريقها لمن أتى بعده وذلك بتأليفه فى علم النحو، وقد دخل عليه تلميذه ابو الاسود الدؤلى يوما فرآه مطرقا مفكرا فقال له فيما تفكر ياأمير المؤمنين ؟ قال : أنى سمعت ببلدكم هذا - (يعنى الكـــوفة) - (أى لهجة غير عربية) فاردت ان اصنع كتابا فى أصول العربية ، ثم القى اليه صحيفة فيهـــا « بسم الله الرحمن الرحيم » - الكلام اسم وفعـــل وحرف .. الخ » .

٢ - عبد الله بن عباس :

قد برز فى المدينة من شباب الجيل الثانى من المسلمين عبدالله بن عباس وقد تعلم ابن عباس القرآن وهو صغير فتفوق على الشيوخ فى علمه بالتفسير والفقه وما اليها من العلوم لما وهبه الله من رجاحة عقل وحسن رأى ، ومن قول ابن عباس « توفى رسول الله صلى الله عليه وســـلم وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم ، أى حفظت القرآن » .

وفى خلافة عمر بن الخطاب كان عمر يرجع الى عبد الله بن عبـــاس فى عمله ويستشيره فى أمور خلافته رغم صغر سنه ويقـــدمه على كثير من شيوخ المهاجرين والانصار فاذا لاموه فى ذلك القى عليه وعليهم مســـألة فى التفسير أو غيره فيكون رأى ابن عباس فيها أحسن الاراء ، فيدفع بهذا لومهم عنه ويريهم أن الاسلام لا يقيس الناس بكبر سنهم أو صغره وانما يقيسهم بما اوتوه من العلم والفهم » .

عن ابن عباس قال :

« كان عمر بن الخطاب اذا دعا الاشياخ من أصحاب محمد صلى الله عليه وســـلم ، دعانى معهـــم وقال لا تتكلم حتى يتكلموا ، فدعـــانا ذات يوم فقال :

« ان رسول الله صلى الله عليه وســـلم قال فى ليلة القدر ما قـــد علمتم : التمسوها فى العشر الاواخـــر وترا ، ففى أى الوتر ترونها ؟ فقال بعضهم تاسعة ، سابعة خامسة ، ثالثة فقال لى : يابن عباس مالك لاتتكلم، فقلت ان شئت تكلمت قال : مادعوتك إلا لتتكلم ، فقلت : اقول فيها برأيى ؟ فقال عن رأيك اسالك ، فقلت : انى سمعت الله تبارك وتعالى اكثر ذكـــر السبع . فقال : السموات سبع والارضون سبع حتى قال :

« انا شققنا الارض شقاقا فأنبتنا فيها حبا وعنبـــا وزيتونا ونخـــلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا » فالحدائق كل ملتف وكل ملتف حديقة والاب ما تنبت الأرض مما لا يأكل الناس فقال عمر : اعجزتم ان تقولوا مثل ماقال هذا الغلام الذى لم تشتق شئون رأسه ثم قال لعبد الله بن عباس :

« أنى قد نهيتك ان تتكلم فاذا دعوتك معهم فتكلم » .

٣ — أنس بن مالك بن النضر :

كان فى العاشرة من عمره حين أتت به أمه « أم سليم » الى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت له : « هذا بنى وهو غلام كاتب هذا أنس غلام يخدمك » وكان ذلك بعد هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام الى المدينة ومنذ تلك اللحظة بدأ أنس ابن مالك يتعلم على يد رسول الله ويسمع منه ما يقول عندما يبدأ الاكل وبعد ما ينتهى منه ، ويسمع ما يقوله الرسول عليه الصلاة والسلام عندما يتوضأ ويشاهد الرسول وهو يسبغ الوضوء ، وتتوعب واعيته الباطنة كل نأمة وحركة وكلمة وفعلة للرسول عليه الصلاة والسلام اذ ان حياة النبى الكريم كانت دروسا عملية لأنس بن مالك ، بل ان هذا الغلام الذى هيئته الاقدار للقيام بخدمة الرسول الأمين ، قد تعرف بحكم ملازمته له كل ما كان يعزم النبى عمله بالنسبة للسرايا والغزوات وبناء الدولة ، وهذا موقع هام وعظيم تبوأه أنس بن مالك ولم يكن هذا نعمه وبركة عليه فحسب بل كان نعمة على المسلمين جميعا فما فتئت الأحاديث التى رواها أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى دعامات الفقه الاسلامى .

وقد عاش هذا الصحابى الجليل مائة وثلاثين سنة ومات بالبصرة عام ثلاث وتسعين هجرية وعند وفاته قال « مورق العجلى » ذهب اليوم نصف العلم فقيل : وكيف ذلك يا أبا المغيرة ؟ قال كان الرجل من أهل الاهواء اذا خالفنا فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ..قلنا له : تعالى الى من سمعه منه ونذهب به الى أنس بن مالك » .

ويحكى أنس بن مالك عن البركة التى فاضت عليه وانعمت عليه خيرا بسبب دعاء رسول الله له ، فقد دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا : « اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه » .

وقد عاش أنس حتى رأى من بركة الولد ما يزيد على المائة من أولاده واحفاده وفى عام خمس وتسعين هجرية أى بعد وفاته بعامين ولد أحد احفاده وهو « مالك بن أنس » صاحب المذهب المالكى وامام أهل الحديث ومؤلف كتاب الموطأ وهو أول مصدر اسلامى فى كتب الاحاديث النبوية .

٤ — زيد بن ثابت :

كان زيد بن ثابت أحد هؤلاء الصبية الانصار الذى دخل فى الاسلام وعمره احدى عشر عاما بعد هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام الى المدينة ، وكان من بين الغلمان الانصار الذين تعلموا الكتابة بعد غزوة بدر على يد أحد الاسرى من الذين لم يستطيعوا دفع الفدية حيث أمر الرسول بأن من لم يستطع دفع الفدية يعلم عشرة من أبناء المسلمين الكتابة .

نما زيد بن ثابت فى مدرسة الرسول ودرس التعاليم المحمدية ، وقد اكسبته ملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم فهما عميقا للدين الحنيف فقد بلغ درجة عظيمة من العلم جعلت صحابيا جليلا وعالما حكيما مثل عبد الله بن عباس يمسك بزمام فرس زيد بن ثابت تبجيلا لمقامه ومنزلته العلمية ، ولما طلب منه زيد فى حياء وتواضع ان يترك زمام الفرس قال ابن عباس : « لا فهكذا نصنع بعلمائنا » .

ومن قبل هجرة الرسول تعلم زيد بن ثابت فى سن صغيرة مبادىء القراءة والكتابة وعندما بعث الرسول مصعب بن عمير الى أهل المدينة وهو فى مكة ليعلمهم القرآن ويفقههم فى الدين ، اتصل به زيد بن ثابت فى هذا السن الصغير ليحفظ القرآن ويتفقه فى الدين وكان سريع الحفظ حسن الفهم فبلغ فيما بعد درجة عالية بين الصحابة وكان هو مرجعهم فيما يتعلق بالقرآن والدين والعلم .

وقد استخدم الرسول زيدا كاتبا للوحى لصدق ايمانه ورسوخ يقينه بعد ان أصبح شابا أحس فيه الرسول نضج العقل والفهم والادراك فكان موضع ثقته واجلاله وطلب منه الرسول ان يتعلم لغة اليهود فتعلمها فى شهر ونصف وكتب بالعبرية ثم تعلم السريانية فى سبعة عشر يوما حتى يتسنى له مكاتبة الملوك والحكام ببعض اللغات الاجنبية ، وكانت ثقافته وعلمه موضع اعجاب الصحابة جميعا ، وكان بحكم انقطاع زيد بن ثابت للكتابة للرسول فقد كان متصلا به كل الاتصال فأخذ عنه كثيرا من أحكام الدين حتى كان من أصحاب الفتوى بعده .

والى جانب ما كان يتمتع به زيد بن ثابت من ثقافة وعلم ونضج فانه كان من صفوة المجاهدين ومن خيرة الشباب المقاتل ، وقد بلغت به حماسته للجهاد أن ذهب الى الرسول عليه الصلاة والسلام مع مجموعة من صبية المسلمين وطلبوا منه أن يشتركوا فى صفوف المجاهدين فى غزوة بدر ، ولكنهم لم يبلغوا بعد مبلغ الشباب فكان سنهم أقل من ستة عشر عاما فأمرهم الرسول بالعودة حتى يصلوا الى السن القانونى للجهاد فى سبيل الله .

وقد عرف له أبو بكر فى خلافته فضله وعقله ورسوخه فى العلم والدين ، فلما أراد جمع القرآن عهد به اليه ، وكان احساس زيد بن ثابت بخطورة هذا العمل ومن فرط خشيته من الله ، أنه قال :

« والله لو كلفونى نقل جبل من مكانه ، لكان أهون على مما أمرونى به من جمع القرآن » .

فجمع زيد بن ثابت القرآن بعد ان استشهد كثير من حفظة كتاب الله فى معركة اليمامة - وصار زيد بن ثابت تلميذا للرسول فى صغره صاحب الفضل فى كبره على المسلمين فى حفظ القران من ان يصيبه من التحريف والتبديل ما أصاب الكتب السماوية الاخرى المنزلة قبله ٠

وكذلك عرف عمر بن الخطاب فى خلافته فضل زيد بن ثابت ، فكان يستخلفه على المدينة اذا سافر ، فقلما رجع الا اقطعه حديقة من نخل ، وهو عمر بن الخطاب الذى كان معروفا بأنه يدقق فى العطاء ويحرم نفسه وأهله من هذا المال ٠٠

وتوفى زيد بن ثابت عام خمس واربعين هجرية - ٦٦٥ م ٠

٥ - عبد الله بن مسعود :

أسلم عبد الله بن مسعود وهو غلام لم يقترب سن البلوغ ، وكان سادس من أسلم من المسلمين ٠ وكان أول من جهر بالقرآن فى مكة فقرأ سورة الرحمن ، وحينئذ واجه الوان العذاب والضرب والقسوة من كفار قريش ولم يكن له عشيرة تحميه من أذاهم لأنه كان غلاما فقيرا يرعى الغنم لعقبة بن ابى معيط قبل اسلامه ، ولكنه كان جريئا لا يعبأ بالاذى ٠

وكان عبد الله بن مسعود يلازم النبى صلى الله عليه وسلم منذ أسلم ليأخذ عنه أحكام الدين ويتعلم منه ما علمه الله تعالى ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعجبه منه هذا الحرص على العلم حتى قال له :

« أنك لغلام معلم ، وكفى بهذه شهادة له » ٠

« وكان عبد الله بن مسعود من بين المسلمين الذين هاجروا الى الحبشة ثم هاجر الى المدينة بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم اليها ٠ فنال بهذا شرف الهجرتين معا ٠

وبعد أن أصبح شابا وعاد الى المدينة شارك فى غزوة بدر وهو الذى أجهز على أبى جهل فى تلك الغزوة اذ كان أهل قريش أشد عداوة للاسلام ٠

وفى خلافة عمر بن الخطاب بعثه عمر الى الكوفة ليعلم أهلها أحكام الدين وعلمه فكان له بها مدرسة عرفت فيما بعد باسم مدرسة أهل الرأى وانتهى علمها الى أبى حنيفة النعمان امام أهل الرأى من فقهاء الاسلام وقد تعلم أبى حنيفة على يد حماد بن أبى سليمان ، وأخذ حماد عن ابراهيم بن زيد النخعى وأخذ ابراهيم عن علقمة بن قيس ، وكان علقمة أنبل أصحاب وتلامذة عبد الله بن مسعود ٠

وبهذا يكون لعبد الله الفضل كل الفضل على مدرسة أصحاب الرأى ٠ وفى عهد عثمان عينه واليا على الكوفة ثم أمره بالرجوع الى المدينة عندما ابى أن يحرق المصحف الذى لديه بناء على أمر عثمان حتى يكون للمسلمين مصحف واحد مكتوب على لغة قريش التى نزل بها ثم مات عبد الله بن مسعود عام ثلاث وثلاثين من الهجرة — (٦٥٣م) ٠

٦ — أبى بن كعب بن قيس :

كناه الرسول عليه الصلاة والسلام بأبى المنذر عمل بمهنة القراءة وكان افضل تلاميذ الرسول واقرأهم ٠ وهو أول من كتب لرسول الله بعد مقدمه المدينة ٠ واذا لم يحضر كتب « زيد بن ثابت » ٠

وكان أبى بن كعب يحضر حلقة الدرس فى المسجد وهو صغير ليسمع دروس النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى أحد المناقشات التى كانت تدور بين الرسول وصحابته أن سأل الرسول على الصلاة والسلام أبا المنذر فقال : أبا المنذر أى آية من كتاب الله أعظم ؟ فأجاب قائلا : الله ورسوله أعلم ، واعاد النبى صلى الله عليه وسلم سؤاله ثلاث مرات فأجاب أبى بن كعب قال : الله لا اله الا هو الحى القيوم ٠ فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره بيده وقال له : ليهنك العلم أبا المنذر ٠

وقد بلغ أبى ابن كعب فى المسلمين منزلة رفيعة ومكانا عاليا حتى لقد قال عنه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

« أبى سيد المسلمين » وكان من المتفوقين فى حفظ القرآن الكريم وترتيله وفهمه اياه ، وظل ابى بن كعب يلازم الرسول وينهل من معينه العذب فى العلم والقرآن والتفسير والاحاديث وكان اذا حدث الناس انجذبت اليه الاسماع فى شوق واصغاء وعاش حتى رأى فتوحات الاسلام فى عهد عمر بن الخطاب ٠

وقد جاء وصف ابى بن كعب فى أحاديث الرسول فى قوله صلى الله عليه وسلم :

« ارحم امتى بأمتى أبو بكر ، واشدهم فى دين الله عمر ، وأقضاهم على ، وأصدقهم حياء عثمان وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وافرضهم زيد بن ثابت ، وأقرأهم ابى بن كعب ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » ٠

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« خذوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وابى بن كعب ، ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبى حذيفة » ٠

وروى سهل بن ابى حثمة عن أبيه قال : « كان الذين يفتون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين : عمر وعثمان وعلى ، وثلاثة من الانصار ، ابى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت » .

وروى الحسن بن صالح عن مطرف عن الشعبى عن مسروق قال : « كان أصحاب القضاء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة : عمر ، وعلى ، وعبد الله ، وابى بن كعب وزيد ، وأبو موسى » .

٧ ـ أسامه بن زيد :

هو ابن زيد بن حارثة بن شراحيل . وقد تبنى الرسول عليه الصلاة والسلام أبوه زيد ابن حارثة فى الجاهلية بعدما تزوج السيدة خديجة وبعد ان اشترته من سوق عكاظ ورباه كأحد اولاده ثم زوجه فى شبابه بأم ايمن حاضنة النبى صلى الله عليه وسلم فأنجبا أسامه فأصبح مولى رسول الله من أبويه وكان يسمى حب رسول الله .

تربى أسامه بن زيد فى كنف رسول الله فعلمه القرآن والحديث وروى ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان أسامه من أحب الناس الى وأنا ارجو ان يكون من صالحيكم ، فاستوصوا به خيرا » .

وذكر ابن منده أن النبى صلى الله عليه وسلم استعمل أسامه بن زيد أميرا على الجيش الذى سيره الى مؤتة لمحاربة الروم وكان عمره ثمانية عشر عاما وكان معه فى الجيش كبار شيوخ المهاجرين والانصار وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وأبى عبيدة بن الجراح وسعد بن ابى وقاص . ولكن الرسول مرض فى نفس اليوم الذى خرج فيه أسامه فعاد عندما سمع بذلك ورأى الرسول وهو على فراش الموت فدعا له ، ثم خرج بالجيش فى عهد أبو بكر . وتوفى أسامه بن زيد فى آخر أيام معاويه سنة ثمان وخمسين هجرية .

وهكذا تعلم فى مدرسة الرسول العديد من الصغار والغلمان والشباب ممن لايسمح المجال هنا لذكرهم جميعا فبالاضافة الى ماسبق ذكرهم من الصغار الذين تربوا على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلم فى عهده أيضا الزبير بن العوام بن خويلد وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول عليه الصلاة والسلام حيث اسلم الزبير وعمره ثمان سنوات ، كما تعلم الحسن والحسين أولاد فاطمة الزهراء بنت الرسول عليه الصلاة والسلام على حجر النبى ولازماه فى كل مجلس علم وكل صلاة وغيرهم كثيرين من أبناء الصحابة ومئات من أبناء المسلمين الذين تعلموا فى المسجد النبوى على يد الرسول .